نتائج الاستعمار البريطاني علي جنوب الجزيرة العربية

د. حصة جمعان الهلالي الزهراني(*)

أهمية البحر الأحمر بالنسبة لجنوب الجزيرة العربية :

كان البحر الأحمر، ولا زال، أهم طرق المواصلات البحرية فى العالم؛ يحمل المواد التجارية من الشرق والغرب، فى العصور السابقة والحالية، وأصبح الآن من أهم الممرات البحرية فى العالم يحمل أهم السلع الاستراتيجية من الشرق والغرب، كما تحول أيضا، من مجرد بحر داخلى، إلى أهم شريان مائى، ينقل البترول من مناطق استخراجه - فى الخليج العربى وايران وشبه الجزيرة العربية وأفريقيا - إلى أوروبا الصناعية، والولايات المتحدة الأمريكية، والصين وآسيا، وبقية دول العالم. ويفضل اكتشاف البترول فى الخليج والجزيرة العربية، وبعض دول أفريقيا المطلة على البحر الأحمر، وبسبب الاحتياج النفطى المتزايد فى أوروبا وأمريكا وآسيا، أصبح البحر الأحمر، بمميزاته وخصائصه الجيوبوليتيكية، أخطر محاور الصراع والتنافس الدولى، ومن أهم نقاط التحكم الاستراتيجية العالمية، باعتباره طريقا حيويا لنقل البترول، ومعبرا للتجارة العالمية، وطريقا مختصرا لتدفق القوة العسكرية من البحر المتوسط، والبحر الأسود، والمحيط الأطلنطى، والمحيط الهندي، والمحيط الهادي. وبهذه الميزات، ارتبط البحر الأحمر بالقرن الإفريقى جنوباً، كما ارتبط بقناة السويس، شمالاً، ارتباطاً عضويا أمنياً وعسكرياً وسياسياً واقتصادياً، حتى أصبح محط أنظار المخططين السياسيين والعسكريين الإقليميين والدوليين، ومركز اهتمام واضعى القرار السياسى، ومحور صراعات معقدة بين القوى الدولية المتنافسة على النفوذ، وكذلك القوى المحلية والإقليمية المتصارعة حول الهيمنة والنفوذ في المنطقة.

إن البحر الأحمر - من مدخله الشمالى عند السويس إلى مدخله الجنوبى عند باب المندب والقرن الأفريقى - ظل ولازال يلعب دوراً مركزياً ومحورياً فى الصراع فى منطقة جنوب الجزيرة العربية والمناطق الحيوية من العالم، ويعتبر القرن الأفريقي، ممراً وبوابة للبحر الأحمر وخليج عدن، بالإضافة إلى الخليج العربي والمحيط الهندي.

(*) أستاذ مشارك بكلية الآداب جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١) الصراعات الدولية في منطقة جنوب الجزيرة:

مع مطلع القرن١٧ بدأ الاهتمام البريطانى فى جنوب الجزيرة العربية ومدينة عدن الاستراتيجية، كجزء من المنافسة التجارية الأوروبية، وخاصة مع البرتغاليين والهولنديين في المنطقة .

فى عام 1609 بدأت شركة الهند الشرقية البريطانية بإرسال أولى رحلاتها إلى مدينة عدن والبحر الأحمر، وأسست أول وكالة تجارية لها فى ميناء مخا. وقد استطاع الإنجليز السيطرة على تجارة دول الجنوب العربي الخارجية وجزء كبير من تجارة اليمن، وخاصة تجارة البن.

بعد ذلك بدأت التجارة الأوروبية تتدرج فى الهبوط على مدى فترة ستين عاماً. بحيث انحصرت، فى الأخير، بين الإنجليز فى الجنوب العربى واليمن، والفرنسيين فى اليمن فقط. وتحولت المنافسة البريطانية - الفرنسية من ميدان التجارة إلى ميدان السياسة. مما أدى إلى أن تقوم الحكومة البريطانية بالإجراءات التالية :

١- إرسال قوة حربية بريطانية إلى الساحل الشرقى لمصر؛ لمواجهة التوسع الفرنسى.
٢- التواجد العسكرى فى مدينة عدن والجنوب العربى، كموقع استراتيجى هام فى البحر الأحمر على باب المندب وخليج عدن، لمراقبة السفن الفرنسية والتصدي لها، للحفاظ على نفوذها في المنطقة.

فى عام 1802 عقدت بريطانيا أوّل معاهده تجارية مع السلطان العبدلى، سلطان سلطنة لحج، الذي كان يحكم مدينة عدن، ويسيطر على مينائها الاستراتيجى، وبموجب الاتفاقية أصبح ميناء عدن مفتوحاً أمام السفن والبضائع البريطانية، وبموجبها تمّ تأسيس وكالة تجارية بريطانية في عدن، وضمنت الاتفاقية توفير الحماية للرعايا البريطانيين في السلطنة.

زادت أهمية عدن الاستراتيجية فى السياسة البريطانية أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر - أكثر، عندما أرادت بريطانيا استخدام البحر الأحمر كطريق للمواصلات التجارية، بدلاً من الطريق البحري الطويل حول الرجاء الصالح، وكذلك اكتشاف البخار جعل بريطانيا، حينها، تجعل من مدينة عدن محطة لتموين السفن بالفحم، خاصة وأنَّ ميناء عدن يقع فى منتصف الطريق بين مدينة بومباي فى الهند وقناة السويس. وقد كان القبطان هينس يرى بأن مدينة عدن هي المكان المناسب لاستخدامها كمحطة لتزويد السفن، وقاعدة تجارية وعسكرية

هامة، حيث كتب لإقناع حكومته قائلا: " إن المرفأ العظيم لمدينة عدن يمتلك من القدرات والإمكانات ما لا يملكه ميناء آخر فى الجزيرة العربية. إنَّ ازدهاره لاشكَّ وأن يقضى على بقية موانئ البحر الأحمر فهو يحتل مركزاً تجارياً ممتازاً لاشكَّ أنَّه أنسب الموانئ الموجودة لمواصلات الإمبراطورية عبر البحر الأحمر. وهو في وضعه الحالي صالح لاستقبال البواخر و تموينها في كل فصول السنة."

ومن العوامل التى سرّعت بالاستيلاء البريطانى على مدينة عدن، ودول الجنوب العربى، وجود جيش محمد على باشا، حينها، فى تهامة وأوساط اليمن، والذى دخلها بهدف القضاء على الوهابيين. وقد كان يطمح لتأسيس إمبراطورية مصرية فى الجزيرة العربية، وكان يشكل خطراً كبيراً على المصالح البريطانية، وخاصةً إذا ما استولى على مدينة عدن الواقعة وسط الطريق البحرية إلى الهند. وقد كتب حاكم بومباى البريطانى إلى حكومته قائلاً ": إنَّ مطامع محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية يجب أن تكبح قبل أن يستفحل أمرها ."

إنَّ تجارة بريطانيا الخارجية فى حاجة إلى خط مواصلات مضمون، وذلك بدوره يعتمد على وجود قواعد ساحلية يحسن اختيارها، ويقوم بحراستها الأسطول الملكى البريطانى الكبير. وفى19 يناير 1839م دخلت القوات البريطانية، بقيادة القبطان هينس مدينة عدن عن طريق جزيرة صيرة، وكان ذلك بداية التواجد العسكرى والسياسى البريطانى المباشر فى مدينة عدن ودول الجنوب العربى، حيث تم بعد ذلك فى 18 يونيو 1839م توقيع معاهدة صداقة مع سلطان سلطنة لحج، وتوالت بعدها معاهدات الصداقة بين بريطانيا وأمراء وسلاطين ومشايخ دويلات الجنوب العربى، والواقعين فى كيانات صغيرة مستقلة بعضها عن بعض، مقابل الحماية والدعم المالى لهم ولمناطقهم، وأصبحت عدن، تدريجياً، يتعاظم دورها كقاعدة عسكرية وتجارية هامة. زادت المنافسة البريطانية الفرنسية على المنطقة، فاستولى البريطانيون على جزيرة ميّون عام 1856، خوفاً من وقوعها بيد الفرنسيين، واستولى الفرنسيون على جزيرة أوبوك على الساحل الصومالى المقابل، عام 1862 خوفاً من وقوعها بيد البريطانيين. وهذه المنافسة على المنطقة مرتبطة بمشروع حفر قناة السويس فى مصر، فى الأعوام 1868 -1867. تحولت عدن إلى قاعدة متقدمة للمملكة المتحدة أثناء الحملة ضد الأثيوبيون، مما زادها ازدهاراً وشهرةً. فى عام 1869 تم افتتاح قناة السويس فى مصر وقد أدى ذلك إلى زيادة أهمية عدن الاستراتيجية، وقد توسعت الأنشطة الاقتصادية والتجارية، وتزايد مرور السفن فى ميناء عدن، مما زاد من حجم تزويدها بالفحم والمؤن المختلفة، وازدهرت السياحة، وعقد الاتفاقيات التجارية والإنشائية، وتسهيل الاستيراد والتصدير، وفي المقدمة تصدير البن من إمارات وسلطنات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومشيخات دويلات الجنوب العربى، وخاصةً سلطنات يافع، وكذلك البن الآتى من اليمن.

وكان ثلث موارد خزانة السلطنة العبدلية، فى لحج يأتى من معاملة سلطنة العبدلى فى لحج التجارية مع مدينة عدن. كما كانت سلطنة العبدلى فى لحج، حينها، المتعاقد والمحتكر الأكبر لتموين مدينة عدن، والقاعدة العسكرية البريطانية فيها، بالخضراوات والفواكه ومياه الشرب، والحشائش، وأعلاف المواشى، والملح والأيادي العاملة. كما لعب السلطان العبدلى فى لحج لفترة من الزمن، دور الممثل والوسيط بين إدارة المستعمرة فى عدن، ممثلة بالمعتمد السياسى البريطانى وبقية سلاطين وأمراء ومشايخ الجنوب العربى؛ الذين كانوا بمثابة دويلات صغيرة مستقلة، فكانت تمر عبره إليهم المرتبات والمساعدات البريطانية.

كما كان لدى البريطانيين جهازان مختصين بشؤون الإمارات والسلطنات والمشيخات، في دويلات الجنوب العربي؛ الواقعة خارج مدينة عدن، وهذان الجهازان هما :

١- القوة العسكرية الجديدة للأرياف، المعروفة بخيالة المجراد، وقد أتوا بها من الهند، وكانت مهمتها القيام بجولات استطلاعية متكررة إلى إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربي، لدراسة أحوالها العسكرية والاستراتيجية لوضع السياسات والحلول المناسبة.

٢- إنشاء الدائرة العربية، وتتبع مباشرة للمعتمد السياسى البريطانى فى عدن، وهذه الدائرة كانت المخططة والمنفذة للسياسة البريطانية؛ للتعامل مع القبائل داخل إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربى. وأصبحت أهم إدارة حكومية، وخاصة بعد إنشاء دار الضيافة الملحقة بها عام 1869. وكانت السياسة البريطانية تعتمد حينها أمام تلك المناطق، على دفع المرتبات لحكامها، وتقديم الحماية مقابل الولاء الكامل، دون التدخل أو الوجود العسكري المباشر فيها، أو فى بعضها؛ إلا لتقديم الحماية والدعم. إلا أنَّ هذه السياسة اختلفت بعد انحياز الأتراك إلى جانب ألمانيا، عندما كان الأتراك فى ذلك الوقت يحتلون اليمن، ويشكلون خطراً مباشراً على النفوذ البريطاني في المنطقة، وعلى دويلات الجنوب العربي.

٢) الصراع البريطاني العثماني في الجنوب :

بدأت الإمبراطورية العثمانية، بمساعدة ألمانيا، تمد الخطوط الحديدية إلى كلٍّ من العراق والكويت والجزيرة العربية. ومنذ 1849م أصبح لتركيا وجود فعلى على ساحل تهامة باليمن، وتمكن الأتراك من استكمال احتلال اليمن الشمالى حالياً (فى عام1872 بشكل كامل). وهذا هو الاحتلال التركى الثانى لليمن الذي دام خلال الأعوام 1872-1918، كما كان الاحتلال الأول التركى لليمن خلال الأعوام 1538-1635، وبرغم وجود الأتراك باليمن حتى عام1870، وعلى التماس المباشر مع البريطانيين الموجودين في الجنوب العربي وعدن، إلا أنَّ

البريطانيين لم يكن يقلقهم الوجود التركى باليمن حينها، كون الوضع فى اليمن والجنوب العربى لا يشكل خطراً على النفوذ البريطانى فى المنطقة، بالرغم من تواجد الأتراك فى اليمن؛ فالجنوب العربى كان تحت الحكم البريطانى، وكان مقسماً إلى 22 دولة من الإمارات والسلطنات والمشيخات الصغيرة المستقلة بعضها عن بعض. وكان اليمن مقسماً حينها هو الآخر بين الأئمة فى صنعاء، وأمراء آل عريش فى المخا ومدن ساحل تهامة، وكانت مناطق أواسط اليمن والحجرية مستقلة، وكان اليمن مجزأً إلى مناطق مستقلة استطاع الأتراك السيطرة الكاملة عليها واخضاعها للحكم العثمانى للأعوام 1872-1918، إلا أنَّ الأوضاع الدولية والمحلية، فى السبعينات من القرن التاسع عشر شهدت تغيرات مهمة؛ دفعت البريطانيين إلى تغيير سياستهم، والاهتمام التام بالمنطقة، وتعزيز السيطرة التامة على الجنوب العربى، وعاصمته مدينة عدن. بالإضافة إلى هذا، فقد تمَّ فتح قناة السويس عام 1869، وبذلك زادت أهمية عدن الإستراتيجية.

كانت السياسة البريطانية، فى البداية حينها، مرنة مع العثمانيين فى اليمن، وتتبع نظام الصداقة مع أمراء وسلاطين ومشايخ دويلات الجنوب العربى، وتنص تلك السياسة أن تدفع بريطانيا مرتبات شهرية وسنوية؛ لسلاطين وأمراء ومشائخ دويلات الجنوب العربى، وتوفير المتطلبات الضرورية لدولهم، مقابل الإشراف البريطانى الغير المباشر عليها، وابقاء الطرق إلى مستعمرة عدن آمنة ومفتوحة وتأمين وصول المواد الغذائية والخضار والفواكه والمنتجات المحلية إلى مدينة عدن، وكذلك عدم وقوع أي من تلك السلطنات والإمارات والمشيخات بيد أطراف خارجية.

أما وبعد أن أصبح الأتراك، المحتلين لليمن، على مقربة من حدود الإمارات والسلطنات والمشيخات المكونة للجنوب العربى، وبدأ الأتراك ضم بعض من إمارات وسلطنات ومشيخات الجنوب العربى إلى المناطق التى يحكمها الأتراك فى اليمن، فى كلٍّ من قعطبة والحجرية وماوية، فقد اتبع البريطانيون سياسة جديدة ونظاما جديدا – هو نظام الحماية للتعامل مع الوضع الناشئ الذي حاول الأتراك فرضه. ويعنى نظام الحماية هذا – أنَّ سلاطين وأمراء ومشايخ دويلات الجنوب العربى عليهم أن يوقعوا على اتفاقيات مع البريطانيين نيابة عن أنفسهم وعن ورثتهم. وقد غطت اتفاقيات الحماية هذه فى الثمانينات من القرن التاسع عشر كل سلطنات وامارات ومشيخات ودويلات الجنوب العربى، من باب المندب غرباً إلى المهرة. ومنذ عام 1869 ظلت حضرموت سلطنتين مستقلتين بعضهما عن بعض، باسم سلطنة القعيطي، وسلطنة

الكثيري، إلى جانب سلطنة المهرة، وسلطنة الواحدي، فى شرق الجنوب العربي، ويخضعان للحماية البريطانية حتى استقلال الجنوب العربي، في الـ 30 من نوفمبر 1967م.

أما فى الجزء الغربى منه، فقد كانت للأتراك محاولات عديدة لفرض سيطرتهم على بعض إمارات، وسلطنات، ومشيخات، دويلات الجنوب العربى فى تلك الفترة. وبدأت القوات التركية بالزحف لاحتلال مناطق السلطنات والإمارات الثلاث التابعة للجنوب العربى والنفوذ البريطانى، لذا وجد الإنجليز أنفسهم أمام العثمانيين، وتعرض المصالح والنفوذ البريطانى وحلفائه للخطر، وقد احتلت بعض الإمارات والسلطنات والمشيخات فى الجنوب العربى، ووصلت إلى مشارف عاصمة سلطنة لحج. عندها شعر الإنجليز بجدية خطر الجار الجديد، وقامت الحكومة البريطانية بالاتصال بالحكومة العثمانية المركزية، فى الباب العالى، فى القسطنطينية، وتقديم إنذار شديد اللهجة، وبإمكانية وقوع الحرب بين الدولتين إذا لم توقف تركيا تقدمها، وتنسحب من جميع المناطق التى احتلتها داخل الجنوب العربى. لكن فى 24 أكتوبر 1873م قام المقيم السياسى البريطانى فى مستعمرة عدن بقيادة الهجوم البريطانى، وقاموا فوراً بالانسحاب من كل مناطق الجنوب العربى التى احتلوها فى إمارات الضالع وسلطنة ألحوا شب ومشيخة العطوي، ثم بعد ذلك تم فى أواخر عام 1873، الاتفاق بين بريطانيا وتركيا على ترسيم الحدود بين الجنوب العربى واليمن، حيث تم الاتفاق بين البريطانيين والأتراك على أن تكون حدود المناطق التى يسيطر عليها الأتراك والبريطانيين فى كلٍّ من اليمن والجنوب العربى فى عام1873 هى الحدود الدولية بين الطرفين والجنوب العربى واليمن، واعترف البريطانيون بنفوذ الأتراك على اليمن، واعترف الأتراك بنفوذ البريطانيين على إمارات وسلطنات ومشيخات دويلات الجنوب العربى، وأنَّ على الأتراك المسيطرين على اليمن ومنذ عام 1873 عدم التدخل فى شؤون إمارات وسلطنات ومشيخات الجنوب العربي باعتبارها دويلات مستقلة بذاتها، وتقع تحت النفوذ البريطاني.

وفى عام 1905م اقترحت تركيا على بريطانيا: تشكيل لجنة مشتركة لتخطيط وترسيم الحدود الدولية بين البلدين: الجنوب العربى الواقع تحت النفوذ البريطانى، واليمن الواقع تحت النفوذ التركى، وقد تم تشكيل اللجنة بالفعل لترسيم الحدود، كما وجهت بريطانيا إنذاراً إلى الأتراك بسحب جنودهم من بعض قرى إمارات الضالع التى احتلوها، وتم انسحابهم منها فى نفس العام. وفى 20 أبريل 1905م وقع البريطانيون والأتراك، رسمياً، على اتفاقية تخطيط الحدود الدولية بين الجنوب العربى واليمن، واعادة التوقيع عليها عند استكمال ترسيمها في 1914م، وقد أصبحت هي الحدود الدولية الرسمية بين البلدين والدولتين.

خلال الحرب العالمية الأولى 1918 - 1914م : احتدم الصراع بين الأتراك والإنجليز، لانحياز كل منهما إلى الطرف النقيض والمعادي في الحرب، وكانا في خط التماس المباشر لتواجد الإنجليز في الجنوب العربي، وتواجد الأتراك في اليمن. في منتصف عام 1916 استخدمت لأول مرة الطائرات البريطانية في قصف مواقع الأتراك في بقية المناطق داخل سلطنة لحج المحتلة من قبل الأتراك، وفي نهاية عام 1916 إلى عام 1918م شهدت الجبهة العسكرية بين الأتراك والإنجليز نوعاً من الهدوء.

انسحب الأتراك من اليمن عام 1918م، وكانت هزيمتهم في الحرب نهاية للإمبراطورية العثمانية التركية الذي دام حكمها خمسمئة عام، وأخذ اليمن الشمالي حاليا استقلاله عن تركيا عام 1918م، وأعلن الإمام يحي بن حميد الدين نفسه إماماً على اليمن، اليمن الشمالي حاليا وأسس المملكة المتوكلية، اليمنية وعين نفسه ملكاً لها. ودخل اليمن، بعد عام 1918م، مرحلة جديدة بعد التحرر من الأتراك، هي مرحلة الأئمة الزيديه، الممتدة خلال الفترة ما بين ١٩٦٢-١٩١٨م.

انتهت الحرب العالمية الأولى، وهزم الأتراك في الحرب، وانسحبوا من اليمن، وانتهت إمبراطوريتهم، إلا أنَّ الإنجليز خرجوا من الحرب منتصرين، وأعادوا سيطرتهم على كل إمارات وسلطنات و مشيخات دويلات الجنوب العربي، لا بل وخرجوا من الحرب وهم يسيطرون على أهم موانئ ومدن اليمن الساحلية: مدينة اللحية، والحديدة الميناء الرئيسي لليمن، والذي سوف يكون السبب في توتر العلاقات بين دولة اليمن الجديدة ممثلة بإمامها، والإنجليز الموجودين في الحديدة باليمن، والحاكمين للجنوب العربي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أهمية الجنوب العربي في الصراع البريطاني اليمني :

بانتهاء الحرب العالمية الأولى انسحب الأتراك من اليمن، وحصل على استقلاله الوطني، في عام 1918 برز الإمام يحي كقوة جديدة في اليمن، في مواجهة الإنجليز ودويلات الجنوب العربي، بحيث سرعان ما توترت العلاقة بين الطرفين، نتيجة لسيطرة الإنجليز على مدينة اللحية ومدينة الحديدة الميناء الرئيسي لليمن، التي سيطرت عليهما بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى من وجهة نظر الإمام يحي، ومطالبته بتسليمها إليه، إلا أنَّه نتيجة التحالف بين الإنجليز والإدريسي، أثناء الحرب ضد الأتراك وقرب مدينة اللحية من مناطق الإدريسي فقد سلمت بريطانيا مدينة اللحية إلى الإدريسي، وأبقت مدينة وميناء الحديدة تحت سيطرتها. طيلة

سنوات الحرب كانت مدينة عدن توصف بأنها "قاعدة إمبراطورية"، مع التأكيد على دورها المتزايد في المجال العسكري والتجاري، واستقبال السفن والمواصلات، والتزود بالوقود .

في عام 1929 عقد أمراء وسلاطين، ومشايخ دويلات الجنوب العربي، مؤتمراً عاماً لهم، برئاسة سلطان سلطنة لحج، بهدف تقوية الروابط فيما بينهم، وإيجاد صيغ تحالفية تمكنهم من مواجهة المخاطر الخارجية بشكل موحد، وفكروا حينئذ في إنشاء اتحاد فيما بينهم، ولكن لم يتوفقوا في تحقيق ذلك، وقد تمكنوا من تحقيق هدفهم هذا في 11 فبراير 1959م، بإنشاء اتحاد الجنوب العربي.

تم في 11 فبراير1934م التوقيع، في مدينة صنعاء عاصمة اليمن على معاهدة اعتراف الإنجليز باستقلال اليمن، واعتراف الإمام يحي إمام اليمن باتفاقية ترسيم الحدود الدولية، الموقعة في 1905م و1914م، من قبل تركيا وبريطانيا، لترسيم الحدود الدولية بين اليمن والجنوب العربي. وتحول الجنوب العربي إلى وزارة المستعمرات البريطانية بدلاً من الهند، عام 1937وقسمت إلى قسمين من المحميات : المحميات الشرقية، والمحميات الغربية، وتمّ استبدال نظام الحماية السابق بنظام الاستشارة، وسياسة نظام الاستشارة تقضي بأن يكون لكل سلطان أو أمير أو شيخ، مستشار بريطاني ينصحه في كل المسائل التي تخص إدارة سلطنته أو مشيخته، وعلى الأمير أو السلطان أو الشيخ أن يقبل نصيحة ذلك المستشار، ويقوم بتنفيذها.

وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية، 1939-1945م، كانت الحالة والموقف العسكري بين البلدين: الجنوب العربي واليمن هادئة. ولكنها في 1943-1944م كادت أن تتأزم، نتيجة تمركز قوات يمنية على ساحل البحر المقابل لجزيرة ميّون، بالقرب من حدود البلدين، إلا أن اليمن قام بسحب قواته من هناك، بعد أن وجهت بريطانيا إنذار شديد اللهجة. وبانتهاء الحرب العالمية الثانية زال الخطر الإيطالي الساحل الإفريقي المقابل اليمن، لانتصار الحلف البريطاني وهزيمة الحلف الإيطالي بالحرب.

أصبح النظام الأمامي باليمن، خلال الأعوام 1959-1962 منهاراً تماماً ولم يعد يسيطر على البلاد، حيث سادت التمردات القبلية والشعبية وأخذت المقاومة في المدن اليمنية لنظام الحكم تتوسع، والمنشورات الداعية لإسقاط نظام الإمامة تتوزع على طول وعرض اليمن، ومظاهرات الطلبة تعم المدن وكانت القبائل تنضم إلى الانتفاضة ضد نظام الإمام. وفي 22 مارس 1961م هبت ثورة قام بها الجيش اليمني وبها تغير النظام في يوم 26 سبتمبر 1962م إلى نظام جمهوري وإلى صراع جديد هذه المرة داخل اليمن؛ بين الجمهوريين في الحكم والملكيين خارج الحكم.

في بداية الستينات من القرن العشرين أصبح لمدينة عدن أهمية خاصة في الإستراتيجية الدولية، حيث أشار الكتاب الأبيض الصادر عن وزارة الدفاع البريطانية، وكذلك، إلى نيَّة بريطانيا في أن تبقى قواتها العسكرية في عدن، وذلك يعود إلى ثلاثة عوامل:

الأول : يتعلق بالاستراتيجية الدولية : فقد أصبح لمدينة عدن أهمية استراتيجية، ليس بالنسبة لبريطانيا فحسب، وإنما للمعسكر الغربي بأسره.

الثاني : يتعلق باستراتيجية البترول: فميناء فعدن أصبح هو الذي يحمي آبار البترول في الخليج.

الثالث : بالإستراتيجية المحلية : لأنَّ القاعدة ستحمي حلفاء بريطانيا المحليين في المنطقة.

آثار الاستعمار البريطاني الدينية:

في الوقت الحالي تنص المادة الثانية من دستور اليمن على أن الإسلام هو دين الدولة، و تكفل المواد (41) و (42) و (48) تساوي المواطنين وحرية الفكر والحرية الشخصية ويحدد القانون الحالات التي يجب فيها تقييد حرية مواطن، ولم تشر إلى دين المواطن بالتحديد. والشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع، وعليه فإن قانون الأحوال الشخصية وحقوق الأقليات يخضع لتفسيرات الشريعة، ويشترط الدستور على عضو مجلس النواب أن "يكون مؤديا للفرائض الدينية"، بينما شرط الإسلام واضح في شروط مرشح رئاسة الجمهورية. وتقدر نسبة المسلمين في اليمن بحوالي 99% ، أي 1.5% من مجموع مسلمي العالم، وينقسم المسلمون في اليمن إلى مجموعتين رئيسيتين هما: السنة الشافعية، والشيعة الزيدية. وتبلغ نسبة الشافعية حوالي ٦٠-٧٠% ، مقابل زيدية ٣٠-٤٠% وتوجد أقلية إسماعيلية صغيرة في شمال البلاد تعود بداياتها إلى أيام الدولة الصليحية والملكة أروى بنت أحمد.

الأقليات : هناك أعداد قليلة باقية من اليهود في اليمن، إذ هاجر أغلبهم إلى إسرائيل والولايات المتحدة، وهم الأقلية غير المسلمة الوحيدة من سكان البلد الأصليين. ولليهود في اليمن شهرة بأنهم من أمهر الصاغة وصناع الخناجر التي تعد أبرز معالم الهوية اليمنية. وكانت الأعراف والتقاليد تمنع اليهودي، والمسلم غير القبلي من ارتداء الجنابي.

ووجدت أقلية هندوسية صغيرة جدا في عدن. ويوجد أربعة كنائس في عدن تمثل الوجود المسيحي والذين أغلبهم من الأجانب. وتعتبر الجزيرة العربية القلب النابض لمليار ومائتي مسلم، يمتدون عبر الكرة الأرضية؛ ولذا فهي تمتاز بخصائص وسمات تميزها عن بلاد الدنيا مجتمعة؛ ففيها بيت الله الحرام، وإليه يحج الناس كل عام، وإليه يتجهون في صلواتهم.

هذا الارتباط بين الإسلام ديناً والجزيرة العربية مكاناً، وبين ساكنيه من جهة أخرى، أدركه المنصرون قديماً في الحروب الصليبية التي استمرت زهاء ثلاثة قرون. وحديثاً قالوا » : لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة.! ، من أجل هذا كله ركز منصروا اليوم على الجزيرة، وعلى من يسكنها، ومن يحيط بها، وقد وجدوا بغيتهم في جنوبها وبالتحديد في بلاد اليمن البوابة الجنوبية المطلة على المحيط الهندي، حيث التقت هنا المصالح السياسية - الاقتصادية - الدينية، واجتمع النصارى وتداعوا لغزو جديد هدفه تحطيم بوابة العمق الاجتماعي للجزيرة بأسرها.

أهم الأسباب التي هيأت لعملية التنصير في اليمن هي:

١- اندثار بعض شعائر الإسلام وعدم الدعوة إليها، لإحساس الجميع بأنهم مسلمون وكفى.

٢- الجهل والأمية؛ حيث بلغت نسبة الملمين بالقراءة والكتابة من البالغين38% ، وهى من أدنى المعدلات في العالم. وأشارت آخر الدراسات إلى أن نسبة الأمية قدرت بحوالي50% من السكان.

٣- التردي فى الجانب الاقتصادى ، وضغوط البنك الدولي حيث أشارت بياناته إلى أن أكثر من 19%من سكان اليمن يعيشون تحت خط الفقر.

٤- النظام الديمقراطى المفتوح، والدعم المعنوي التي تتلقاه المنظمات التنصيرية من بعض الجهات والشخصيات النافذة في البلد.

٥- عدم وجود أهداف ثابتة واستراتيجيات واضحة للدعوة بين كثير من فصائل العمل الإسلامي

٦- الأوضاع الصحية التى تعد من أشد الأوضاع تدنياً فى العالم؛ فالفقر والحمل المتقارب، وانخفاض الوعى الصحى، وارتفاع معدلات سوء التغذية وتزايدها المطرد حيث وصلت إلى 15، 9% لعام1996 م، وتشير البيانات الرسمية لوزارة الصحة إلى أن مجموع المواطنين المصابين بوباء الفيروس الكبدي يزيد علي 3 ، 5 مليون مواطن.

٧- ضعف الجانب العقدي، وغياب عقيدة الولاء والبراء، لدى فئات كثيرة في المجتمع.

٨- حسن معاملة النصارى للبسطاء والمتعاملين معهم في الشركات والمؤسسات.

٩- إعجاب بعض أبناء المسلمين بمدرسيهم النصارى، والشعور بالفخر والاعتزاز لدى زيارة بعض النصارى لبيوت المسلمين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٠- تعدد واجهات العمل النصراني بين : معاهد دراسية - هيئات إغاثية - مراكز صحية - مراكز دراسات - مراكز ثقافية.

١١- ضعف دور المؤسسات الإسلامية، وانشغال كثير منها بقضايا داخلية أو جزئية.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : متى بدأ التنصير في اليمن؟ ومن هي الجهات التي تقوم بذلك؟ وما هي أشكال هذا التنصير وصوره؟ وهل استطاع أن يحقق شيئاً من أهدافه؟

تشير التقارير إلى أن أول عمل تنصيري منظم بدأ بعد خمسينيات هذا القرن، وتركز أساساً في مدينة عدن وبلاد العرب الجنوبية، واستمر العمل حتى عام1972 م، كما بدأ العمل في شمال اليمن من عام1969 م إلى أوائل عام1981 م.

هذا النشاط يتبع منظمة نصرانية تدعى : فريق البحر الأحمر الدولي (الذي أسسه المنصر) ليونل قرني في عام1951 م ، والذي قضى سبعة عشر عاماً قبل هذا التاريخ في أعمال التنصير في الشرق الأوسط. كما يطلق على هذا الفريق مسمى آخر وهو : الخيَّامون (وهم النصارى القادمون للعمل في البلاد الإسلامية في مجالات مختلفة كالطب والهندسة والتعليم والتمريض. .إلخ). وشعار هذه المنظمة : (الإسلام يجب أن يسمعنا، وهدفها نشر الإنجيل بين المسلمين). والمنظمة تعرّف بنفسها أنها فريق البحر الأحمر الدولي RSTI منظمة عون دولية غير حكومية، ذات خلفية نصرانية، مركزها الرئيس في إنجلترا. وتحصل على الدعم من الكنائس والأفراد ومنظمات العون النصراني؛ ويدعم الفريق حالياً مشاريع تنموية في كل من جمهورية مالي، وجيبوتي، وباكستان، واليمن، وتنزانيا؛ وكل المشاريع خاضعة لموافقة الحكومة المضيفة، وتمتد الأنشطة، على نطاق واسع، في مجال التنمية الريفية والتعليم والصحة والدعاية الصحية الأولية والتعليم الأولي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واستناداً لما سبق: فإن التعريف الخاص بالمنظمة يلقم حجراً لكل من يحاول التقليل من خطر المنظمات النصرانية أو إنكار أن لها أعمالاً تنصيرية.

أشكال التنصير وأماكنه وصوره داخل بنية المجتمع اليمني:

أولاً : الكنائس ودور العبادة:

١- الكنيسة الكاثوليكية بالتواهي : تعتبر الكنيسة الكاثوليكية الواقعة في مدينة التواهي وعلى مقربة من القاعدة العسكرية البحرية اليمنية، أهم موقع كنسي نصراني تم افتتاحه في بداية

الخمسينيات، إبان الوجود البريطاني في محمية عدن، ويتبع حالياً المجمع الكنسي الكاثوليكي في مدينة لارنكا بقبرص، ولكنه يدار مؤقتاً من الإدارة الأنجليكانية بمدينه دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وربما تكون هذه الكنيسة هي أهم كنيسة على الإطلاق تم بناؤها في جنوب الجزيرة العربية، ولقد سعدت الإدارة الأمريكية كثيراً بإعادة افتتاحها في عام1995 م، وتم ذلك بمساعدة السفارة الأمريكية بصنعاء ودعمها؛ وذلك من خلال جهود سفيرها السابق السيد ديفيد نيوتن؛ حيث افتتح المركز الطبي الكنسي الملحق بها، والذي يقدم خدمات لكثير من طالبي الخدمات الطبية من أبناء المنطقة المحيطة بالكنيسة، كما أن التقارير ذكرت أن الصلوات تقام بها بشكل منتظم عصر كل يوم أحد، وقد اهتم الرهبان والراهبات، الذين يعملون في العيادة الصحية، كثيراً بالمقبرة النصرانية في منطقة المعلا التي تضم رفات الكثير من النصارى ممن توفوا في مدينة عدن.

٢- الكنيسة المعمدانية بكريتر - مدينة عدن:

كانت توجد كنيسة معمدانية في مدينة كريتر بعدن، لا تبعد كثيراً عن سوق الخضار، ولكن تم إلغاؤها وتحول المبنى إلى مبنى حكومي. وكانت الكنيسة تدار من قِبَل الكنيسة الأنجليكانية المعمدانية التي تتخذ من لندن مقراً لها؛ وسبب ذلك إهمال أعضاء تلك البعثة وتقصيرهم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣- دور العبادة النصرانية بصنعاء:

قامت بعض العناصر الإنجيلية النشطة، وبدعم غير مباشر من السفارة الأمريكية بصنعاء باستئجار مبنى يقع في الحي السياسي؛ وذلك لاستخدامه داراً للعبادة يوم الأحد، ولأداء بعض القداسات النصرانية كلما دعت الحاجة لذلك، كما يقام قدّاس يوم الأحد في المعهد الكندي - في مدينة حدة في إحدى الشقق المستأجرة لهذا الغرض في المجمع السكني.

٤- دور العبادة النصرانية بإب:

تقوم البعثة النصرانية المعمدانية الأمريكية، من خلال مستشفى جبلة المعمداني بمدينة جبلة بمحافظة إب، بدور كبير سواء فيما يتعلق بالدعوة للتنصُّر، أو القيام بأداء صلوات يوم الأحد بالكنيسة المعمدانية الملحقة بالمستشفى. ويقوم القساوسة والراهبات بدور إنساني - على حد زعمهم - وتنصيري من خلال زيارة النساء والفقراء ودور الأيتام والسجون. وقد استطاعت البعثة، وخلال سنوات عملها الطويل ، إدخال بعض الأشخاص إلى الديانة النصرانية؛ إذ بلغ عددهم ما يقرب من 120 يمني.

ثانياً : النشاط الصحي:

- المركز السويدي بمدينة تعز في شارع الدائري : له نشاط تنصيري، ويحمل ترخيصاً من وزارة التربية والتعليم باسم تعليم اللغة الإنجليزية، وله نشاط خيري يتستر وراءه لأعماله النصرانية، كما يقيم دورات لتعليم النساء التدبير المنزلي والخياطة.

- جمعية من طفل إلى طفل : مركزها الرئيس مدينة تعز، ولها نشاط في صفوف الأطفال المصابين بالعمى والخرس؛ حيث استطاعوا أن يؤثروا عليهم عن طريق تغيير الإشارات لديهم تهيئةً لدخولهم في النصرانية، من دون أن يشعروا بذلك.

- منظمة أدرا في منطقه حيس تهامة : « وهي نشيطة جداً، وقد استطاعت أن ترسل كثيراً من الشباب إلى دول نصرانية مثل: سنغافورة والفلبين وبانكوك: باسم الحصول على شهادات في اللغة الإنجليزية؛ كما يقومون بزيارات منظمة للمناطق النائية، مثل مديريتي العدين والقفر؛ حيث يخيم عليها الجوع والفقر والمرض والجهل، ولك أن تتوقع النتيجة!

- المركز الصحي بالحديدة في شارع شمسان، ودار العجزة في شارع زايد؛ حيث يقوم المبشرون بدور رهيب في الاختلاط بالبسطاء، وتقديم العون والمساعدة لهم. كما امتد نشاطهم إلى جامعة الحديدة، وخاصة في قسم اللغة الإنجليزية؛ حيث قاموا بوضع المنهج الذي يشوه الإسلام ويخدم التنصير.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- جمعية رسالات المحبة » بعثة الإحسان : « يمتد نشاطها الواضح في صنعاء وتعز والحديدة وخصوصاً بين المصابين بالجذام والأمراض العقلية، وكان لها ارتباط مباشر مع المنصّرة الهندية الأم تريزا، وتقوم الجمعية حالياً بالعناية بأربعمائة مريض ومسن، وخمسة وثلاثين معوقاً، ولهم مقر ثابت، عبارة عن مبنى ملحق بالمستشفى الجمهوري بصنعاء، يضم حوالي عشر راهبات.

- داران لرعاية العجزة بصنعاء وتعز، وتشرف عليهما راهبات بعثة الإحسان التابعة للأم تريزا.

- جمعية أطباء بلا حدود وتتستر بالإغاثة، ولها نشاط تنصيري.

- معسكر اللاجئين الصوماليين بالجحين بمدينة أبين، وتقوم المنظمات النصرانية بالدور ذاته بين هؤلاء الفقراء المسلمين؛ حيث نسيهم إخوانهم المسلمون.

- منظمة ماري ستوبس وهي نشطة في مجال رعاية الأمومة والطفولة، وتدعم مشاريع تنظيم النسل.

ثالثاً : المنظمات المانحة:

منظمة أوكسفام: وتدعم العديد من المشروعات المتعلقة بالتنمية والتعليم والصحة والقات.

منظمة اليونسكو: وتدعم مشاريع البنية التحتية، وهدفها إزالة الخلاف بين المسلمين والنصارى.

منظمة رادا بارنر: وتدعم المشاريع التي تتعلق بالطفولة.

رابعاً : النشاط السياحي:

نشرت صحيفة الثورة -كمثال- فى عددها رقم12542 ، بتاريخ 15/3/1999م عن وصول 800 سائح إلى عدن، فيما تصل 27 سفينة سياحية تستقبلها الموانئ اليمنية حتى نهاية شهر3/1999 م. وهؤلاء يقومون بالعديد من الأنشطة في تجوالهم داخل اليمن ومنها:

١- توزيع الإنجيل فى المدن المختلفة ومنها الحديدة، حيث وزع الإنجيل في السوق المركزي، كما أقيمت الصلوات وحضرها السياح.

٢- توزيع مجلة بالعربية تسمى FISHERS ، وهي تدعو إلى اعتناق النصرانية.

٣- توزيع القصص المصورة النصرانية.

٤- توزيع بعض الهدايا والتقاويم التي تحمل شعار النصرانية؛ في صور مختلفة لكنائس عالمية.

٥- النزول إلى أماكن التجمعات في الأسواق، ومحاولة كسب قلوب الناس بالتصوير معهم.

٦- ومن أبرز نشاطهم ما حدث فى منطقة الحسينية؛ حيث وزع بعض السياح شريط فيديو وكاسيت يدعو للنصرانية، وفى ختام الشريط يقوم المحاضر بتلقين المستمع الصلاة والترانيم النصرانية، للحصول على بركة المسيح.

خامساً : النشاط التعليمي الثقافي:

وأتذكر هنا رئيس الجامعة الأمريكية الأسبق هوارد ويلس حين قال : " التعليم في مدارسنا وجامعاتنا هو الطريق الصحيح لزلزلة عقائد المسلم وانتزاعه من قبضة الآلام ".

المعهد الكندي بصنعاء:

يتستر هذا المعهد خلف تعليم اللغة الإنجليزية، ويتميز بقلة التكلفة مقارنة بالمعاهد الأخرى وقوة منهجيته، وإقامة الرحلات والاحتفالات بنهاية كل دوره، ولا تزيد إعارة المدرس عن عام واحد في اليمن، ويستمر المدرسون المغادرون بالتواصل مع طلابهم. ومن مناهجهم :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعامل الخلاق مع طلابهم، وإثارة الشبهات بشكل فردي لبعض الطلاب، ولا يدخلون فى مواضيع خلافيه مع الطلاب مجتمعين. كما تزيد نسبة الطالبات عن الطلاب في المستويات الدراسية المتقدمة.

- أما المعهد البريطانى - المعهد الأمريكى - المعهد الفرنسى. فكلها تقوم بالمهمة نفسها، ومقرها صنعاء. ناهيك عن مراكز الدراسات التابعة لهم التي تيسر للمنصرين مهمتهم، وتتيح لهم التجول في اليمن بغرض البحث العلمي.

وتشترك كافة المعاهد في بعض الأعمال، منها:

١- توزيع بعض نسخ من الإنجيل هدايا.

٢- منح دورات مجانية للمتفوقين، ورحلات تعليمية إلى أوروبا؛ حيث قدَّمت الحكومة الهولندية ثلاثين منحة، فى عام 1997م لطلبة من الجامعات اليمنية، وبعدها قدمت الحكومة البريطانية ثلاثين منحة للكليات المختلفة.

٣- مساعدة الطلاب الذين يقعون في مشاكل مالية أو نفسية.

٤- القيام بالرحلات المختلطة لطلابهم.

٥- إثارة الشبهات عن الإسلام.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما دور المؤسسات تجاه عمليات التنصير؛ فهو نشاط خجول يحتاج إلى إذكاء كالجمر تحت الرماد، ومنه الأنشطة التى قام بها مركز الدراسات الشرعية بمدينة إب؛ حيث أصدر فى العدد الخامس من نشرته معلومات عن وسائل التنصير، وأبرز أنشطتهم ووسائلهم. كما قام بعض الدعاة، فى مدينة عدن، بإقامة العديد من المحاضرات وتوزيع المطويات التي تحذر الناس من خطر التنصير.

أما موقف الحكومة اليمنية: فيوضحه لنا تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن خلفية بعض الشؤون المهمة فى اليمن، للعام 1998م ، الصادر عن مكتب شؤون الجزيرة العربية والخليج الفارسى، بدائرة الشرق الأوسط فى 30 مايو 1998 م. " لكن نتيجة الغموض الذي يكتنف الدستور فى اليمن، فيما يتعلق بالسماح بفتح دور للعبادة النصرانية، بالرغم من وجود النص الدستوري الذي يؤكد على أن الشريعة الإسلامية هى مصدر كل التشريعات؛ إلا أن السلطات التنفيذية اليمنية المختصة؛ كثيراً ما تغض الطرف عن كافة الأنشطة الكنسية والنصرانية في عموم اليمن ".

وسائل التنصير:

-الأولى : الخدمات الإنسانية : هم يقولون التبشير، السلام، الديموقراطية، الإنسانية. فالخدمات الإنسانية مثل :الإغاثة، والطب، والمساعدات من أهم ما يتوسلون ويتوصلون به. فهم يحملون الإنجيل بيد والعلاج باليد الأخرى، ونحن نعلم أن الأمم المتحدة بمنظماتها، والبنك الدولى، مثلاً منظمة الصحة العالمية، الصليب الأحمر، اليونسكو، وغيرها، هي وسائل بيد مجلس الكنائس العالمي وعملائه المغروسين في أنحاء العالم.

الوسيلة الثانية : التخريب الأخلاقى، فالكنسية تدار فيها الخمور، وتقام فيها الحفلات الماجنة للمراهقين والمراهقات، من أجل استهواء الشباب وجلبهم إلى النصرانية. وخاصة إن كانوا من شباب المسلمين . ويسر لهم أسباب الفساد. يقولون : حاولنا أن نقف دونه، لكن عبثاً نحاول لأن قوانين البلد تسمح بإقامة المراقص والملاهى، ولو بجوار المساجد، فقد يبنون المساجد ومدارس للأطفال بجوار المسجد فاكتشفوا فيما بعد أن هذه المدارس تعلمهم مبادئ المسيحية ولكن بطريقة غير مباشرة.

الوسيلة الثالثة : توزيع الكتب والكتيبات والمجلات، والدوريات، والصحف التى تخدم التنصير -المخصصة لهذا الغرض- بشتى اللغات، وبشتى الأساليب، وفى شتى الموضوعات، مع تعمد دس التشويه والكذب؛ فى مثل هذه الدراسات والكتب والمقالات، هذا فضلاً عن التقاويم (الرزنامات) وفى كل يوم تجد التقويم مرصعا بآية من الإنجيل مكتوبة بخط جميل وملونة وزهور، وأشياء حقيقةً تلفت الانتباه وتشد الذهن، وكذلك تطبع كروت التهانى مثلاً بالأعياد: أعياد الميلاد، الكرسمس، عيد رأس السنة، عيد القيامة، إلى غير ذلك من أعيادهم، وبخطوط جميلة وألوان، وصور يزعمون أنها لمريم أو لعيسى، أو فيها آيات من الإنجيل، إلى غير ذلك. فضلاً عن نشر الصلبان فى كل مجال وفى كل ميدان، فى الملابس، فى السيارات، فى الأوانى، فى الذهب، فى كل شىء نو تأملت تكاد تجد صليباً موضوعاً على عمد، وأحياناً الملايين منها توزع بالمجان، وترسل بالبريد لمن يريد، ويعملون عن طريق الإذاعات. وتبث هذه الإذاعات بأكثر من ثمانين لغة، ولها صناديق بريد في العواصم العربية وغيرها، وتستخدم المراسلة والمطبوعات وغيرها للتواصل مع مستمعيها .

سادساً: الرياضة : هناك خطة أن يتولى النصارى العرب الاتصال والتنصير فردياً هناك، وتوزيع النشرات والأفلام، وعناوين المؤسسات التنصيرية فى العالم على الحضور وعلى المسافرين إليها.

سابعا: العمل الاجتماعي في مجال المرأة والمجتمع :

فمن ذلك- مثلاً - منظمة فيليبينية تنصيرية اسمها" منظمة شادى"، وكلمة شادى عندهم بلغتهم معناها : الرب، هذه المنظمة تهتم بشكل خاص بالمرضى والمعوقين وأصحاب المشكلات النفسية والذين يواجهون صعوبات فى حياتهم، والغريب فى الأمر: أن هذه المنظمة لها نشرة اسمها " شادي" ومجلس الكنائس العالمى- وهو ربما أعلى سلطة مسؤولة عن التنصير - حشد الآلاف من المربيات - كما يقول رئيس إرسالية التنصير فى الشرق الأوسط" : إن مجلس الكنائس العالمى أرسل الآلاف من المربيات والخادمات والممرضات والأطباء والمهندسين لدعم خطة لتنصير المسلمين عام ألفين ."هم مصرون على أن يتحول المسلمون عام ألفين إلى نصارى، ولذلك استخدموا حتى: المربيات، والخادمات، والممرضات، والأطباء، والمهندسين. ويقول هذا المسؤول" :إن هؤلاء الذين أرسلوا قد اتخذوا الوسائل والأسباب التي تمهد لهم التوغل في جزيرة العرب!

ثامناً : المراسلات: وهى من أخطر ما يكون، وأنجح الوسائل لسهولتها وحصولها فى الغالب وإمكانية تداولها، وهي تعقد الصدقات، وترسل الكتب، والأشرطة، والمجلات، مجاناً إلى من يريد.

آثار الاستعمار البريطاني السياسية والاجتماعية:

أولا : الآثـار السياسية :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تتعدد المحددات الاجتماعية التي كان لها تأثيرها على الاستقرار السياسي في اليمن، ومن بينها تبرز المحددات والأدوار التالية:

أولاً: دور القبيلـــة:

يتكون المجتمع اليمني من عدة قبائل، ويبلغ تعداد القبائل اليمنية أكثر من (160) قبيلة منها حوالي (140) قبيلة في المناطق الجبلية، وما يقرب من (27) قبيلة تقطن المناطق الساحلية وتهامة، وهناك ثلاث قبائل أساسية، تعتبر كل واحدة منها الأم لمجموعة من القبائل الأخرى التي تتفرع منها وترتبط بها عضويا. وتعيش حياة زراعية مستقرة، ورعوية في قرى منظمة ومتطورة إلى حد كبير، إضافة إلى خصوبة الأرض، وكثرة هطول الإمطار التي وفرت مصادر حدت من الصراعات والتمسك بالعصبية القبلية. كانت العلاقة بين سكان هذه المناطق والسلطة علاقة جباية عن طريق المشايخ، وما رافق ذلك من تعسف المشايخ بالرعية، والذي أدى بدورة إلى علاقة عدائية بين الطرفين. وهناك عدة عوامل ساعدت على تفكك العلاقات القبلية في مناطق الوسط، والجنوب في العصر الحديث، منها: أن الزعامات القبلية في مناطق

الوسط هم من كبار ملاك الأرض والذي تحولوا في ما بعد إلى طبقة برجوازية، وظهر الصراع الطبقي بين المشايخ كبار الملاك وطبقة الفلاحين، كما ارتبط مشايخ هذه المناطق بالسلطة المركزية التي تعينهم على السيطرة على الرعية، ولا يشارك مشايخ هذه المناطق في السلطة بطريقة مباشرة، كما هو الحال في مناطق الشمال، وإنما تنتهي مهمتهم بإدارة الصراع في مناطقهم، بما يحقق مصلحة السلطة المركزية. وتطور الصراع بين الرعية والمشايخ مع تطور الصراع بين الشطرين حيث ظهرت انقسامات في هذه المناطق، وحدثت حروب دامية زادت من تفكك العامل القبلي، وعند ظهور التعددية الحزبية كانت تلك المناطق أكثر المناطق ميولا للتحزب، كنظام بديل عن التنظيمات القبلية. وتتسم هذه القبائل بالحفاظ على العصبية القبلية والتي لعبت دورا في حالة عدم الاستقرار السياسي في اليمن، وإتباع المذهب الزيدي الذي يبيح الخروج على الوالي فقد ساعدت تلك العوامل علي أن تظل تلك القبائل في حالة حرب مستمرة، فجميع الرؤساء الذين حكموا اليمن ينتمون إلى المنطقة القبلية الأكثر تعصبا: حاشد وبكيل.

ويتضح أن المناطق المتعصبة قبليا تمكنت من الاستئثار بالسلطة المركزية، كما احتفظت بسلطاتها المحلية في مناطقها، وأصبحت تمثل دولة داخل دولة ولهذا فان النظام السياسي القائم على الجهوية، ومركزية الحكم في مناطق قبلية محدودة، يعد نقطة ضعف حيث يهدد هذا النظام الوحدة الوطنية، والتماسك القومي، ومن مظاهر إخلال القبيلة بالاستقرار السياسي في اليمن:

1. الثأر القبلي :فكثيراً ما تقوم الحروب، والثارات القبلية في اليمن ،حيث بلغ مجموع هذه الحروب في العقد الأخير من القرن العشرين (407) حروب، وثارا قبليا، وغالبا ما تكون تلك الحروب والثارات نتيجة انتشار ثقافة العنف المسلح، والمشروط بتوافر الأسلحة الخفيفة والثقيلة والتي تنتشر في اليمن بشكل واسع حيث تقدر بعض الجهات وجود ما يقارب (60) مليون قطعة سلاح تنتشر في أنحاء اليمن، ويشير تقرير تقدم به مجلس الشورى إلى وقوع 1979 حاله قتل في إطار الثأر القبلي خلال عام2001 م في محافظات صنعاء، وعمران، وذمار والبيضاء .

2. التغيرات الاجتماعية والتآكل المطرد للمعايير العرفية، وضعف الحكومة وانتشار السلاح، والتنافس على مصادر المياه الشحيحة، واحتدام التنافس بين الزعامات الدينية، غذت الصراعات القبلية.

3. الصراع السياسي بين القوى الحزبية، حيث تحدث الثارات القبلية على خلفيات سياسية، وتنتشر هذه الحالة في المناطق الوسطى.

4. الاختطافات القبلية :حيث تلجأ القبائل إلى عملية الاختطافات، كوسيلة متعارف عليها قبليا وكانت هذه الظاهرة محصورة بين القبائل المتصارعة، حيث يمثل اختطاف أحد أفراد القبيلة وسيله ضغط على القبيلة الأخرى، في قضيه النزاع، وعند تطور دور الدولة في الحياة الاجتماعية الاقتصادية استخدمت القبائل الاختطاف في الضغط على الدولة، وانتقلت هذه الظاهرة فيما بعد لاختطاف الأجانب الوافدين إلى اليمن، نتيجة زيادة الدور الأجنبي في الحياة السياسية والاقتصادية والمساعدات؛ كوسيلة ضغط على الحكومة اليمنية والحكومة الأجنبية في نفس الوقت، لتحقيق مصالح القبيلة.

فغالبا ما تقدم القبائل على الاختطاف لعدة أسباب منها : الحصول على خدمات أو مشاريع عامة، والضغط على الحكومة لتوظيف العديد من أبناء القبيلة، وقيام بعض النافذين بالاستيلاء على أرض تعود ملكياتها لأحد أبناء القبيلة، والضغط لإطلاق مساجين على ذمة قضية خاصة أو عامة، أو لإنهاء نزاع معروض أمام القضاء منذ فترة طويلة، ومطالبة بعض القبائل التي تقطن المناطق النفطية، أن يكون لهم نصيب في النفط المستخرج من مناطقهم. وعلى الرغم من أن ظاهرة المجالس والمؤتمرات القبلية تعود إلى الستينات من القرن الماضي، بعد ثورة 26 سبتمبر، إلا أن القبائل لجأت إلى عقد تلك المجالس، والمؤتمرات القبلية بعد التعددية الحزبية، فإذا كانت التعددية الحزبية قد أعلنت عام1991م فإن أول مؤتمر قبلي، انبثق عنة مجلس قبلي، كان في نفس العام وهو مؤتمر التلاحم الوطني.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثانياً :التقسيم الطبقي:

يعد التقسيم الطبقي من العوامل المثيرة للصراعات، والاختلافات، كون الطبقية تؤدي إلى حتمية الصراع الاجتماعي، وتأتي المنافسة بين الطبقات المختلفة من عوامل بناء تركيبة المجتمع الاقتصادي والسياسي، والصراع الطبقي نتيجة حتمية لانعدام العدالة الاجتماعية، ويتكون التركيب الاجتماعي المعاصر في الجمهورية اليمنية من خمس مراتب :

الأولى : تضم مشايخ القبائل، وتقوم غالبا على أساس وراثة المشيخة والزعامة القبلية.

والثانية : تشمل فئة السادة والقضاة والفقهاء.

والثالثة : وتحتوي ثلاث فئات متقاربة ومتداخلة هي: الاعيان العقال، وفئة أمناء القرى وفئة جمهور القبيلة، والمزارعون المستقرون أو البدو الرحل.

والرابعة : تضم الفئات الحرفية والمهنية، والتي تمارس حرفا ومهنا وضيعة قبليا تحرم الأعراف القبلية على رجل القبيلة القيام بها، وهذه الفئات هي: الصناع، الجزارون، الحلاقون، الدواشين.
والخامسة : وتضم فئة الخدام واليهود.

والتقسيم الطبقي في اليمن يقوم على أساس وظيفي مهني في جميع المراحل التاريخية، كما ظلت القبيلة هي اللبنة الأساسية في المجتمع، والتي يتم من خلالها وداخلها الفرز الطبقي للمجتمع.

إلا أن التقسيم الطبقي في عهد الإمامة الزيدية كان واضحاً وشاملاً، كونه اتخذ كأساس للحكم، وانتقص من حق الأغلبية فظهر الصراع الطبقي ثم الثورة والحرب، وعلى الرغم من أن الثورة قامت ضد الطبقية؛ إلا إن المجتمع اليمني ظل يحافظ على هذا التقسيم الطبقي حتى اللحظة في إطار المجتمع القبلي، فحلت فئة مشايخ القبائل محل السادة في الطبقة العليا بعد الثورة، فالتقسيم الطبقي في اليمن يطرأ علية بعض التغيير في المراتب العليا حسب التغير في الوضع السياسي، ويلعب التقسيم الطبقي دورا في حالة عدم الاستقرار السياسي. فنتيجة للفرز الطبقي قامت أحزاب وتيارات سياسية ذات أبعاد مذهبية، وأخرى ذات أبعاد سلالية ذات اتجاهات سياسية. وعلى الرغم من أن التعددية السياسية، والحزبية لعبت دور في خفض وطأة التقسيم الاجتماعي، عن طريق منح العضوية، والمناصب لجميع الطبقات كما مثلت الانتخابات عامل مساواة بين الطبقات من خلال ضمان حق جميع الأفراد في الترشح، والانتخاب إلا أن الأحزاب تفضل غالبا استرضاء مشايخ القبائل، واستمالتهم للانضمام إليها على حساب حرية الطبقات الأخرى التي تندرج في الطبقات الدنيا في سلم التقسيم الطبقي داخل القبيلة ذاتها. ولا زالت الطبقية، والتقسيم الاجتماعي تنخر في جسد المجتمع اليمني، فوفقا للتقسيم الطبقي القائم على أساس قبلي، مثلا يحرم التزاوج بين الطبقات فلا يمكن لفرد من طبقة القبائل أن يتزوج من طبقة لا تنتمي إلى نفس الطبقة، أو أعلى منها وان أقدم على ذلك فأنه يتعرض للقتل أو النفي. وقد كشفت عن وجود حالات رق، وعبودية في محافظات يمنية ويقف وراء استمرار حالة الرق والعبودية: محاباة النظام السياسي لمشايخ القبائل، والذي يعتمد عليهم النظام في عملية الحشد والتأييد في الانتخابات العامة. وتقدر بعض المصادر عدد المهمشين من طبقة الاخدام في اليمن بما يقارب 800 ألف نسمة وأسست هذه الشريحة منظمة الأحرار السود بهدف الدفاع عن حقوقهم، ونتيجة للهوة التي تفصل هذه الشريحة عن الشرائح الأخرى من المجتمع فإنها تمثل قنبلة موقوتة للأمن والاستقرار السياسي والاجتماعي، كما تمثل مشكلة لليمن أمام الدول، والمنظمات الأخرى .إن التغييرات التي طرأت على الوضع الاقتصادي، والأخذ بنظام الرأسمالية

والخصخصة، كان لها تأثير في التركيب الطبقي في الجمهورية اليمنية، حيث اتجهت بعض الطبقات مثل طبقة المشايخ، والقادة العسكريين إلى مزاولة النشاط التجاري، والذي كان محصورا في طبقة التجار، ونتيجة سيطرة هذه الطبقة على الثروة، إلى جانب السلطة السياسية، حدث فرز جديد في المجتمع اليمني على أساس طبقي اقتصادي، ونتيجة لاقتحام تلك الطبقة للمجالات التي كانت مقصورة على الطبقة الوسطى؛ تلاشت الطبقة الوسطى التي كانت تعزل بين الطبقتين الدنيا والعليا، فاتسعت شريحة الطبقة الدنيا مدعومة بتلاشي الطبقة الوسطى حيث أصبح 50% من عدد السكان تحت خط الفقر.

الخاتمـــة:

وهكذا رأينا أن هذه الفترة شهدت محاولات لتدخلات أجنبية، كان هدفها هو تدمير أرض جنوب الجزيرة وباب المندب، اذن بجانب التنافس السياسى الذى شهدته هذه المنطقة، شهدت ايضا تنافسا تجاريا بين الحكومات الأوروبية من جهة، والمحلية من جهة أخرى. ورأينا كيف كانت الغلبة البريطانية اولا ثم اعقبها حركات ثورية كان هدفها الاستقلال وطرد المستعمر الذي حاول طمس الهوية الدينية من هذه المناطق، لكن لم يقف المسلمون مكتوفى الأيدى أمام الحملات الصليبية القديمة والجديدة، التى استهدفت تدمير المدن واراقة الدماء. والدور المطلوب اليوم من العلماء وطلبة العلم، والمؤسسات التعليمية الإسلامية، وهيئات الإغاثة، والجمعيات الخيرية – جد كبير؛ فيجب أن تتوحد الجهود، وأن يعلم الجميع بأن وسائل المواجهة هى ذاتها أساليب الدعوة؛ فهدفنا نحن المسلمين ليس مجرد المواجهة والصد، بل يتعدى الأمر أكثر من ذلك وهو: الدعوة إلى الله بحيث نسعى إلى هداية هؤلاء المنصّرين أو بعض منهم، ولا شك أن من أهدافهم الهيمنة على البلاد التي يكون لهم فيها وجود يذكر بأي وسيلة.

المراجـــع

- بشرى الغيلي، حجة محافظه الفصول الأربعة والتقسيم الطبقي، موقع حديث المدينة بتاريخ 16 يوليو 2010م.
- التغيرات القبلية وتحرير الاقتصاد أضعفا أصحاب الدخل المحدود (بتاريخ26/3/2011م).
- جابر بن يحيى البواب، اليمن وظاهرة الإرهاب الدولي2007-1990م، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية، الجزائر، جامعة الجزائر بن يوسف بن خده، كلية العلوم السياسية والإعلام قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2008م
- جاد طه، سياسة بريطانيا في اليمن الجنوبي، دار الفكر العربي، القاهرة،1969 م .
- جميلة العيسى، الصراع البريطاني الفرنسي حول البحر الأحمر، العبيكان،1421 هـ.
- حسن خضيري أحمد ، قيام الدولة الزيدية في اليمن ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ط 11996
- خالد محمد القاسمي: الوحدة اليمنية حاضرا ومستقلا ، بيروت، .ط1987 1م.
- خديجة الهيصمي، سياسية اليمن في البحر الأحمر ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ط2002 1م
- دستور الجمهورية اليمنية/المواد 64/107 ، نت
- عبد الله أحمد بن أحمد، أهمية الجنوب العربي في الاستراتيجية الدولية،.2004 Feb 15 /
- عبد الوهاب محمد الروحاني، اليمن خصوصية الحكم والوحدة والديمقراطية، القاهرة. مكتبة مدبولي ط2008 1.
- عبد العزيز قائد المسعودي – اليمن المعاصر من القبيلة إلى الدولة (1967-1911م)، مصر، القاهرة، ط 2006 1م.
- عبداللطيف الحميد، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، ط1،الرياض ،1415هـ.
- عبدالواسع الواسعي، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر، ط2،1366هـ.
- عبدالواسع اليماني، تاريخ اليمن، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ط2،1402هـ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- علي الصراف، اليمن الجنوبي الحياة السياسية من الاستعمار للوحدة، ط1، لندن،1992م.
- فاروق أباظة، الحكم العثماني في اليمن، بيروت، ط2،1979م.
- مجلة الأسرة، العدد (.83)، العدد (155) رجب1421 ، أكتوبر ٢٠٠٠.
- محاضرة تسجيلية للشيخ سلمان بن فهد العودة .مما شاهد وسمع وقرا.
- محمد العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني، ط2،الرياض، 1402.
- محمد عمر الحبشي، اليمن الجنوبي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا منذ عام1937م وحتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، دار الطليعة، بيروت،1970م.
- محمد محسن الظاهري، المجتمع والدولة، دراسة العلاقة القبلية بالتعددية السياسية والحزبية الجمهورية اليمنية نموذجا القاهرة ، مكتبة مدبولي ط2004 1م
- محمد محسن الظاهري، الدور السياسي للقبلية في الجمهورية العربية اليمنية، القاهرة ، مكتبة مدبولي ط1996 1م.
- المركز الوطني للمعلومات .نبذة تعريفية عن محافظة الضالع2011.
- المركز الوطني للمعلومات .نبذة تعريفية عن محافظة عدن2011 .
- مسح آثاري لمدينة عدن الكبرى، مديرية صيرة -كريتر -الموسع الأول2004 م -اعداد الهيئة العامة للآثار عدن. منشور في :صحيفة/26 سبتمبر/ رقم العدد 1230 : السبت 09 مارس - آذار 2013
- ناصر محمد الطويل – الحركات الإسلامية والنظام السياسي في اليمن من التحالف إلى التنافس، مكتبة خالد بن الوليد للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.
- اليمن في الوثائق السرية الأمريكية، رسائل متبادلة بين الشيخ عبد الله ووزير خارجية واشنطن وتقسيم الحكومة الطائفي يلفت انتباه دبلوماسي أمريكي
- http://almasdaronline.info/index.php?page=news&article-section=12&news_id=9943
- مدرسة الصراع الطبقي http://www.rafed.net/books/aam/edalah-ejtemaeyye/06.html
- مجلة البيان، قضية عربية : الاختطاف في اليمن. .المشكلة الآثار الحلول http://www.albayan.ae/one-world/1-2-1998-06-02-1.1018731

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

- عمر العمقي، النظام يتغاضى عن مشكلة العبودية خوفا من خسارة حلفاءه، المصدر اون لاين 6/2/2010http://www.almasdaronline.com/index.php?page=news&article-section=1&news_id=9303
- عبده عايش، حروب الثارات في اليمن تودي بحياة المئات وتقلق الأمن والسلم، مقال مستل من مجلة العلوم الاجتماعية، الصادرة 15 ابريل2011 م
- http://www.swmsa.net/articles.php?action=show&id=867
- http://ar.wikipedia.org/wiki
- http://forums.ibb7.com/ibb28072.html-
- http://h-almadena.net/index.php?action=showDetails&id=2049
- http://sh.rewayat2.com/public/Web/6417/003.htm
- http://wikimapia.or
- http://www.hdrmut.net/vb/showthread.php?t=414024
- http://www.oxfam.org/en/
- http://www.sudanile.com
- Muslim Population by Country". The Future of the Global Muslim Population. Pew Research Center. Library of Congress – Federal Research Division
- U.S state Department
- http://www.al-tagheer.com/news28099.html
- 2001http://www.yemenviolence.org/pdfs/Yemen-Armed-Violence-IB1-Arabic.pdf

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com